نظرية الشبكة الفاعلة والسلوك الجمعي

Actor-Network Theory

نظرية شبكة الفواعل أو نظرية الشبكة الفاعلة في علم النفس الاجتماعي حديث نسبياً غرضها دراسة الوضعيات التفاعلية الاجتماعية المعقدة والمتشعبة ومبدؤها اعتبار العوامل من أشياء وأفكار وعمليات وغيرها فواعل إلى جانب الإنسان، والاستغناء عن مفهوم القوى الاجتماعية. أي أنها تنظر إلى العوامل المادية (بين الأشياء) والمعنوية (السيميوطيقية*، بين المفاهيم) على حد سواء.

و نظرية الشبكة الفاعلة (Actor-Network Theory) هي نظرية اجتماعية تم تطويرها على يد العلماء برونو لاتور Bruno Latour، ومايكل كالون Michael Callon، وجون لو John Lawخلال ثمانينيات القرن الماضي.

وهي تتميز عن النظريات الاجتماعية الأخرى، بأنها لا تهتم فقط بالعنصر البشري Human، وإنما أيضاً بـ "الأشياء: objects"، و"المنظمات: organizations". وكلها يتم الإشارة إليها كـ "عناصر فاعلة "actors, actants".

تساعد النظرية العلماء على فهم كيفية عمل هذه العناصر معًا لتشكيل الظواهر التقنية الثقافية. يقترح لاتور أن الجهات الفاعلة والموضوعات التي يعملون عليها هي أجزاء من شبكات أكبر من التفاعل المتبادل وحلقات التغذية الراجعة. كما يمتلك البشر والتكنولوجيا كلاهما القدرة على تشكيل والتأثير على بعضهما البعض. وتصف ANT بشكل أفضل الطريقة التي تتعامل بها (انثروبولوجيا السايبورغ)* مع العلاقة بين البشر والتكنولوجيا. وبالمثل، يشرح ويلز كيف يتم إنشاء أشكال جديدة من التعبير السياسي المتصل بالشبكة مثل Pirate Partymovement و softwarephilosophies الحرة والمفتوحة المصدر من الاعتماد البشري على تقنيات المعلومات في جميع مناحي الحياة.

---

*- السيميوطيقي (السميوطيقا) هو مصطلح يعبر عن دراسة الرموز المادية والعلامات وكيفية تفاعلها مع المعاني والثقافة والافراد والمجتمعات. يعتبر الفيلسوف الفرنسي فرديناند دو سوسور أحد مؤسسي هذا الاتجاه.

*انثروبولوجيا السايبورغ – أو انثروبولوجيا النصف آلي (Cyborg anthropology)هو اختصاص يدرس التفاعل بين الإنسانية والتكنولوجيا من منظور أنثروبولوجي بحت. ويعتبر التخصص حديث نسبيًا، ولكنه يقدم رؤى جديدة حول التطورات التكنولوجية الجديدة وتأثيرها على الثقافة والمجتمع. ويعد «بيان النصف آلي» المثار من قبل الأستاذة الاميركية دونا هاراواي عام 1984 وهو أول مقال اكاديمي يقربشكل واسع ويستكشف الابعاد الفلسفية والاجتماعية والنفسية للأنسان النصف آلي. وهذا يشمل دراسة الطرق التي يتحدث ويتفاعل بها جميع الأشخاص، بما في ذلك أولئك الذين ليسوا خبراء علميين في وضع تصور للتكنولوجيا.

الجوهر الأساسي لنظرية الشبكة الفاعلة هو فكرة الشبكة غير المتجانسة، فالشبكة تحتوي على العديد من العناصر المتباينة، وتتضمن أجزاء "اجتماعية: social" وأخرى "تكنولوجية: technological" في ذات الوقت، بل إن كلا الجزئين "الاجتماعي والتكنولوجي" هو كل متكامل بحسب نظرية الشبكة الفاعلة.

وتهدف النظرية أساساً إلى وصف مجتمع مكوناته بشرية وغير بشرية، كعناصر فاعلة متساوية ومرتبطة ببعضها البعض في شبكات تم بنائها وصيانتها من أجل تحقيق هدف محدد "انتاج برنامج تليفزيوني مثلاً.

منذ نشأتها سعت نظرية الشبكة الفاعلة إلى نقد التصور التقليدي عن بزوغ المعرفة، ونقد فكرة أن النظريات والمكتشفات العلمية هي أفكار "ideas" تطفو بغموض على سطح التفاعل الاجتماعي، فقد صمم لاتور "Latour" على أن النتائج العلمية هي نتاج لعوامل غير متجانس متضمنة فيما يفعله علماء محددون لإنتاج المعرفة –مثل المعامل، الاستوديوهات...

وسعى لاتور إلى هدم التناقض السائد بين الفكرة "idea" والشيء نفسه "matter". حيث تضم مجموعة من العناصر المادية والإنسانية المتكاملة معاً، وتتسم بالديناميكية والانسيابية والتجدد، وتعمل بشكل منظومي، كما أنها تشجع هذه العلاقة دخول عناصر متجددة ومتنوعة

ديناميكية الشبكة الفاعلة "Dynamics of ANT"

توجد ثلاث مراحل تمر بها الشبكة خلال وجودها هي:

1- **الظهور "Emergence"**-الشبكات تظهر بالفعل من خلال الفاعلين، ولأنه لا يوجد فاعل بدون شبكة، فالشبكات تنبثق من خلال شبكات أخرى موجودة بالفعل.

2- **التطور "Development"**- الشبكة يمكن أن تتطور في اتجاهين مختلفين، اتجاه **التقارب أو التباعد** بين عناصرها الفاعلة. إضافة عنصر جديد إلى الشبكة قد يؤدي في البداية إلى التنافر، لأن عمليات الترجمة بين العناصر الفاعلة في الشبكة تصبح أكثر صعوبة، فالعنصر الفاعل الجديد هو عضو في شبكة أخرى، وربما لايزال لديه تصورات وأهداف جديدة منبثقة من هذه الشبكة. ونقاط التقارب والتباعد داخل الشبكة يمكن أن تتحرك باتجاه الاستقرار أو التفكك وحل الروابط بين العناصر الفاعلة في الشبكة.

3- **الاستقرار "Stabilization"-** الشبكات غير القادرة على تحقيق الاستقرار بداخلها تختفي من الساحة، في حين أن الشبكات القادرة على تحقيق درجة معينة من التقارب "Convergence"، تزدهر وتصبح نقطة انطلاق مهمة لأي شبكة جديدة. ومن مصلحة جميع العناصر الفاعلة داخل الشبكة أن يتحقق الاستقرار، لأنه يضمن بقاء الشبكة عند حد معين.(Felix Stalder, 1997)

حدود استخدام نظرية الشبكة الفاعلة "ANT" في مجال علم النفس-

في مجال علم النفس، يمكن استخدام نظرية الشبكة الفاعلة لفهم كيف يتفاعل الأفراد مع بيئتهم وكيف تتكون العلاقات بين العوامل المختلفة. تركز ANT على الفعل والتفاعل بين "العوامل"، ويمكن أن تساعد في تجاوز الفصل التقليدي بين الكائنات الحية والأشياء، مما يفتح المجال لفهم العلاقات بشكل أكثر شمولاً.

بالنسبة لعلم النفس، يمكن تطبيق ANT لدراسة كيف يتفاعل الأفراد مع عوامل متعددة مثل الثقافة، والتكنولوجيا، والبيئة، والعلاقات الاجتماعية. يمكن أن توفر ANT إطارًا لفهم كيف يتم بناء المعاني والهويات من خلال هذه العلاقات والتفاعلات الفردية والاجتماعية الواسعة.

ومن الناحية العملية، يمكن أن يكون لنظرية الشبكة الفاعلة تطبيقات في مجالات مثل علم النفس الاجتماعي، وعلم النفس التطوري، وعلم النفس السريري، حيث يمكن أن تساعد في فهم كيفية تشكل العلاقات وتأثيرها على تطور السلوك والتجارب النفسية للأفراد.

س- ما علاقة نظرية الشبكة الفاعلة بالسلوك الجمعي

إن نظرية الشبكة الفاعلة تسهم في فهم كيفية تكوين وتأثير العلاقات الاجتماعية على السلوك الفردي والجماعي في المجتمع، كونها نظرية تركز على دراسة العلاقات والتفاعلات بين الأفراد والكيفية التي يؤثر فيها البيئة المحيطة بهم. تقدم هذه النظرية فهمًا أعمق للسلوك الاجتماعي والتفاعلات الاجتماعية، وتبرز أهميتها في كيفية تشكيل السلوك الفردي والجماعي.

وتظهر العلاقة بين نظرية الشبكة الفاعلة والسلوك الجمعي في عدة جوانب:

التأثير الاجتماعي: تشير النظرية إلى أن الأفراد لا يتفاعلون بشكل عزل، بل يتأثرون بالشبكات الاجتماعية التي ينتمون إليها. يمكن للأفراد أن يكونوا مؤثرين ومتأثرين في نفس الوقت،

وتشكل العلاقات في الشبكة الاجتماعية إطارًا لفهم كيفية انتقال السلوك والمعلومات في المجتمع.

تكوين الهوية الاجتماعية: تسلط نظرية الشبكة الفاعلة الضوء على دور الشبكات الاجتماعية في تكوين هويات الأفراد وتأثيرها على سلوكهم. الارتباط بمجموعات معينة وتفاعلاتهم مع أعضاء تلك الشبكات يسهم في بناء الهوية الاجتماعية للفرد.

نقل المعلومات والموارد: يعتبر الأفراد في الشبكة الاجتماعية مصدرًا لتداول المعلومات وتوفير الموارد. يمكن للتفاعلات في الشبكة أن تؤدي إلى نقل المعرفة والدعم الاجتماعي، وهو جزء مهم من السلوك الجماعي.

تحليل السلوك الجماعي: بواسطة فهم هيكل وديناميات الشبكات الاجتماعية، يمكن أن يوفر نهج الشبكة الفاعلة أدوات لتحليل السلوك الجماعي بشكل أفضل. يمكن تطبيق هذا التحليل على مجموعة واسعة من المجالات مثل العمل التنظيمي، والسياسة، والتكنولوجيا.

مثال وسائل التواصل الاجتماعي تلعب دورًا في تكوين وتوجيه آراء المستهلكين حول المنتجات العالمية، كما يمكن أن تؤثر هذه الشبكات على الاتجاهات الاستهلاكية وبالتالي على التجارة العالمية.

فمثلاً: عندما نذهب لشراء منتج من السوبر ماركت، تتضمن الشبكة الفاعلة فيه: المشتري، الكاشير، ماكينة الصرف الآلي، النقود والمنتج نفسه وتتضمن أيضاً عناصر أقل وضوحاً مثل الملابس التي يرتديها المشتري..الخ .

س- الانسان هو الذي يصنع الجانب المادي والتكنولوجي لأهدافه الخاصة ومن ثم يقع تحت رحمة هذه التقنية وتصبح سلوكا جمعيا.

Mario Ziemkendorf,2007. **Actor-Network Theory.**

(**http://books.google.com.eg/books?id=EWuKFfMt5n8C&printsec=frontcover&dq=actor+network+theory&hl=ar&ei=eRDcTvGLOImi8gPamPTcDQ&sa=X&oi=book_result&ct=result&resnum=2&ved=0CDIQ6AEwAQ#v=onepage&q&f=false**)